5

الفَرَاشَةُ الجَميلَةُ

رسوم: د. صفا لطفي

خَرَجَتْ الفَراشَةُ الصَغيرَةُ مِنْ مَسْكَنِها الطَبيعيِّ , هيَ ومَجْموعَةٌ منْ أَخَواتِها الفَراشاتِ الصَغيراتِ، وذلِكَ بَعْدَ أنْ شَعَروا جَميعاً بالقُدْرَةِ علَى الحَرَكَةِ والطَيَرانِ، كانتْ الفَراشَةُ أَجْمَلَهُمْ شَكْلاً وأَكثَرُهمْ نَشاطاً وحَرَكَةً ، ظَلَّتْ تَطيرُ وتَطيرُ حتَّى لمْ يَعودوا قادِرينَ علَى اللِحاقِ بِها , حتَّى وَجَدتْ نَفْسَها وَحْدَها دونَ أنْ تَشْعُرَ .

لمْ تَشْغَلْ الفراشةُ بالَها بالبَحْثِ عنْ أَخَواتِها وقالَتْ:

سَوْفَ أَبْحَثُ عنْ أَصْدِقاءَ يَليقونَ بي في النَشاطِ والجَمالِ .

وجَدَتْ الفَراشةُ مَجْموعَةً منْ الفَراشاتِ منْ نَوْعٍ مُخْتَلِفٍ عَنْها أَكْثَرُ نَشاطاً وحَرَكَةً منْ قَبيلَتِها ، ولَكِنَّهُمْ أَقَلَّ جَمالاً مِنْها .

انْضَمَّتْ الفَراشَةُ إِلَيْهِمْ , وعاشَتْ معهمْ , وهمْ مُرَحِّبِينَ بِها.

بَقِيَتْ الفَراشَةُ فَتْرَةً بينَ قَبيلةِ الفَراشاتِ هذهِ وهيَ راضِيَةٌ بِحَياتِها وَمُحِبَّةً لَها، ومرَّتْ الأيَّامُ فَوَجَدتْ نَفْسَها قدْ ازْدادَ نَشاطُها، ووَجَدَتْ نَفْسَها قدْ ظَهَرَتْ عَلَيْها أَلْوَانٌ جَميلَةٌ أَكْثَرَ , فَشَعَرتْ بالمَلَلِ مِنْ هذهِ القَبيلَةِ وقالَتْ:

سَوْفَ أَبْحَثُ عنْ قَبيلَةٍ أُخْرَى تُناسِبُ قُوَّتِي وجَمَالي، فَطارَتْ بَعيداً دونَ أنْ تَعْرِفَ إلَى أيِّ مَكانٍ تَتَّجِهُ .

وجَدَتْ فَرَاشَةً جَميلَةً مِثْلَها ، وعَلِمَتْ منها أنَّها تَسْكُنُ في مَكانٍ مَلِيءٍ بالزُهورِ والرَياحينِ والمَناظِرِ المُبْهِجَةِ ،فَطَلَبتْ مِنْها أَنْ تَذْهَبَ مَعَها , ولَكِنَّ الصَديقَةَ قالَتْ لَها: لا يُمْكِنُ لي أنْ أَفْعَلَ ذَلكَ لأَنَّ المَكانَ الذي نَعيشُ فيهِ مُكْتَظٌّ بالفَراشاتِ ، وسَأكُونُ مَسْئولَةً عنْ رِعايَتِكِ في هَذا المَكانِ ، وهَذا ما يُكَلِّفَني جُهْداً فوْقَ طاقَتي , وانْصَرَفَتْ عَنْها .

طارَتْ الفَراشَةُ وهيَ حَزينَةٌ لأَنَّها لم تَعِشْ في مَكانٍ مِثْلَ الذي تَعيشُ فيهِ صَديقَتِها الفراشَةُ الجَميلَةُ ؛ ولِهَذا قَرَّرَتْ تَرْكَ جَماعَةِ الفَراشاتِ تَماماً التي تَنْتَمي إِلَيْها وقالتْ : لا عَيْشَ لي هُنا، لَقَدْ كَرِهْتُ جَمَاعَةَ الفَراشاتِ . إنَّني جَميلَةٌ وجَذَّابَةٌ ، والكُلُّ يَتَمَنَّى وُجودي وعَيْشي بِجِوارِهِ .

وَجَدتْ الفَراشَةُ عُصْفوراً جَميلاً كانَ يُغنِّي علَى غُصْنٍ جَميلٍ , يَسْتَمْتِعُ بِنَسيمِ الجَوِّ وعَبيرِ الأَزْهارِ , وحَكَتْ لهُ قِصَّتَها , رحَّبَ العُصْفورُ بِها وقالَ: يا مَرْحباً بِكَ أَيَّتُها الفَراشَةُ الجُميلةُ ، سَأَكونُ سَعيداً بِوُجودِكِ مِعي , تُؤْنِسيني في وِحْدَتي ، وَسَوْفَ أَحْمِلُكِ فَوْقَ ظَهْري وأَنا أَطيرُ ، وفي الشَتاءِ أَحْفَظُكِ تَحْتَ جَناحي لِأَحْميكِ منْ البَرْدِ ، وعاشَتْ الفَراشَةُ معَ العُصفورِ أَيَّاماً جَميلَةً يَتَنَزَّهانِ بينَ الحُقولِ ويَتَسامَرانِ ، ويَقْتُلانِ المَلَلَ باللَعِبِ والصُحْبَةِ الرائِعَةِ .

وفَجْأَةً وَجَدتْ الفَراشَةُ صَديقَها العُصْفورَ هُوَ وبَعضَ العَصافيرِ الأُخْرَى وَسَطَ الشِباكِ ، التي طَرَحَها الصَيَّادُ , لمْ تَسْتَطِعْ الفَراشَةُ مُساعَدةَ صَديقِها العُصفورِ , واسْتَطاعَتْ أنْ تَنْجو منْ الشَبَكَةِ بِمُعْجِزَةٍ .

بَكَتْ الفَراشَةُ علَى حالِ صديقِها العُصْفورِ ولَكِنَّهُ قالَ لَها: اذْهَبي أَيَّتُها الفَراشَةُ بَعيداً , وإلاَّ وَقَعْتِ داخِلَ الشَبَكَةِ .

نَظَرَتْ الفَراشَةُ إلَى العُصْفورِ نظْرَةَ وَدَاعٍ وانْصَرَفَتْ وهيَ تَقولُ :

لنْ أعودَ لِمُصاحَبَةِ عُصفورٍ أَبداً .

مرَّتْ الفَراشَةُ علَي حِمارٍ فَسَألَها : إلَى أيِّ مَكانٍ تَتْجَهينَ أَيَّتُها الفَراشَةُ الجَميلَةُ ؟ .

حَكَتْ لهُ قِصَّتَها , فقالَ لَها: أَلاَ تُحِبِّينَ أنْ أكونَ لَكِ صَديقاً ؟ .

قالَتْ الفَراشَةُ : نَعَمْ أُوافِقُ أَيُّها الحِمارُ العَزيزُ , وكَيْفَ أَرْفُضُ ذَلكَ ، وهَلْ يُمْكِنُ أَنْ أَرْفُضَ مُرافَقَةَ صَديقٍ طَيِّبِ القَلْبِ مِثْلَكَ .

عاشَتْ الفَراشَةُ معَ الحِمارِ حَياةً طَيِّبَةً ، يَمْلَؤها الحُبُّ والوِئامُ , ولَكِنَّها كانَتْ تَبيتُ مَعَهُ في حَظيرَتِهِ ، فَكانَتْ تَتَحَمَّلَ الرَوائِحَ الكَريهَةَ المَوْجودَةَ داخِلَ الحَظيرةِ ، وكانَتْ تَجِدُ الحِمارَ لا يَشْعُرُ بالْضيقِ منْ هَذهِ الرَوائِحِ .

وجاءَ يَوْمُ العَمَلِ , سارَ الحِمارُ طُوالَ اليَوْمِ في الحَرِّ الشَديدِ , وعَرِقَ عَرَقاً شَديداً حتَّي تَغَيَّرَتْ رائِحَةُ جَسَدِهِ , تَضايَقَتْ الفَراشَةُ منْ رائِحَةِ الحِمارِ ومنَ الحرِّ الشَديدِ , وقالَتْ لهُ : أَلاَ تَذْهَبْ للْاِسْتِحْمامِ أيُّها الحِمارُ ؟ .

فقالَ لها : يا صَديقَتي العَزيزَةُ هَذِه حَياتي وأَنا سَعيدٌ بِها , لنْ أَذْهَبَ للاِسْتِحمامِ إلاَّ بعدَ إتْمامِ كلِّ المَهامِّ المَطْلوبةِ مِنِّي , ولا يُمْكنُ ليَ الهُروبَ منْ العَمَلِ ، وإنْ كُنْتِ لا تَتَحَمَّلي هَذهِ المعَيشَةِ فَدَعيها .

حينَئِذٍ شَعَرتْ الفَراشَةُ بِوجودِ فارِقٍ كَبيرٍ بَيْنَ حَياتِها وبَيْنَ حَياة الحِمارِ، وقالَتْ: وَداعاً يا صَديقي الحِمارُ , وَدَّعَها الحِمارُ وهُوَ حَزينٌ علَى فِراقِها فَقَدْ كانَتْ خيرَ مُؤْنِسٍ لَهُ .

طارَتْ الفَراشَةُ بَعيدًا وبَعيدًا ، وهِيَ لا تَعْرِفُ إلَى أيِّ مَكانٍ تتَّجِهُ , وإلَى أيِّ صَديقٍ تذْهَبُ .

وَجَدتْ الكَلْبَ يَعيشُ فَفَرِحَتْ فرحاً شَديداً بهِ , وقالَتْ: إنَّ الكَلْبَ أَوْفَى الحَيواناتِ , وسَأَكونُ سَعيدَةً بِمُصاحَبَتِهِ ، وطَلَبَتْ الفَراشَةُ مِنْ الكَلْبِ أنْ تكَونَ صَديقَتَهُ ، لمْ يُفَكِّرَ الكَلْبُ لَحْظَةً أنْ يَرْفُضَها ، وقالَ لَها : يا مَرْحبًا بِكِ أَيَّتُها الفَراشةُ ، هَلْ يُمْكِنُ لي أَنْ أَرْفُضَ فَراشَةٍ جَميلَةٍ مِثْلَكِ .

عاشَتْ الفَراشَةُ معَ الكَلبِ حَياةً جَميلةً هادِئَةً مَليئَةً بالحُبِّ والصَداقَةِ والتَفاهُمِ .

وذاتَ يَوْمٍ رَأى الكَلْبُ ومَعَهُ جَماعَةٌ منْ الأَصْدِقاءِ ذِئْباً يُحاوِلُ أنْ يَفْتَرِسَ أَغْنامَ صاحِبِ المَزْرَعَةِ التي يَحْرُسُها الكَلْبُ . وأَسْرَعَتْ الكِلابُ خَلْفَ الذِئْبِ وحاوَلَتْ الفَرَاشَةُ اللِحاقَ بِهِمْ , ولَكَنَّها لمْ تَسْتَطِعْ , و اصْطَدَمَتْ بِبَعْضِ أَعِوادِ الذُرَةِ الموْجودَة في الحَقْلِ ، فَوَقَعَتْ علَى الأَرْضِ وهِيَ تَتَأَلَّمُ ، وبَعْدَ أنْ اسْتعادَتْ قُوَّتَها قالَتْ: كَيْفَ لي أنْ أَعيشَ بِهذه الطَريقِةِ ، إنَّني سَأُدَمِّرُ نَفْسِي .

ولهَذا قَرَّرَتِ الفَراشَةُ تَرْكَ الكَلْبِ , وقالَتْ مُخاطِبَةً نَفْسَها : كانَ يُمْكِنُ لي أنْ أَنْتَظِرَهُ حتَّى يَعودَ , ولَكِنَّني أَكرَهُ هذِه الصِراعاتِ و أكرَهُ لَوْنَ الدِماءِ ، ولَنْ أَسْتَطيعَ التَعايُشَ معَ الكَلْبِ أَبَداً ؛ إِنَّهُ مُعَرَّضٌ لهذه الصراعات في كُلِّ وَقْتٍ.

غادَرَتْ الفَراشَةُ المَكانَ، وظَلَّتْ تَطيرُ دونَ أنْ تَعْلَمَ إلَى أيِّ مَكانٍ تَتْجَهِ ، و أَثْناءَ طَيَرانِها اصْطَدَمَتْ بنَحْلَةٍ فَوَقَعا عَلى الأَرْضِ سَوِيَّاً ولمَّا اسْتراحا , حَكَتْ الفَراشَةُ لِلْنَحْلَةِ قِصَّتَها , فقَالَتْ لَها النَحْلَةُ : أَتَمَنَّي أنْ تكوني صَديقَةً لي , تُصاحِبيني في التَنَقُّل بَيْنَ الزُهورِ , فَطَريقُنا وَحَياتُنا واحِدَةٌ , وَمرْحَباً بِكِ ضَيْفاً عَزيزاً عَلَيْنا , سَتَعيشينَ مَعَنا سَعيدَةً هَنيئَةً , واتَّجَهَتْ الفَراشَةُ معَ النَحْلَةِ لِتَسْكُنَ في الخَلِيَّةِ .

ووَجَدَتْ الفَراشَةُ اهْتماماً كَبيرًا مِنْ الشَغَّالاتِ .

والْتَفَّ عَدَدُ كَبيرٌ مِنْهُمْ حَوْلَها ، ولَمَّا سَأَلَتْ النَحْلَةَ عنْ ذَلكَ ؟

قالَتْ لَها : إنَّكِ ضَيْفٌ جَديدٌ علَى الخَلِيَّةِ , فَلاَ بُدَّ أنْ يَفْحَصوكِ ، هَلْ أنْتِ صَديقَةٌ أمْ عَدُوَّةٌ ، وبِالتَأْكيدِ سَيَتأَكَدونَ أَنَّكِ صَديقَةٌ ، وسَوْفَ يَهْتَمُّونَ بِكِ ويُكْرِمونَكِ , لا تَقْلَقي . وسُرْعانَ ما انْصَرَفوا عَنْها وانْشَغَلوا بأَعْمَالِهِمْ .

عاشَتْ الفَراشَةُ معَ خَلِيَّةِ النَحْلِ وهِيَ لا تؤدِّي دَوْراً في الخَلِيَّةِ ، ولَكِنَّها ضَيْفُ شَرَفٍ لا تَضُرُ ولا تَنْفَعُ ، ولِهَذا عاشَتْ مَعَهُمْ في أَمانٍ وسَلامٍ .

وجاءَ دَوْرُ تَلْقيحِ المَلِكَةِ , حيثُ تَخْرُجُ الملكة ويَخْرُجُ خَلْفَها كُلُّ الذُكورِ لِتَلْقيحِها, فَتَظَلُّ المَلِكَةُ تَطيرُ حَتَّي يَموتَ الضَعيفُ منْ الذُكورِ منْ كثرَةِ الطَيَرانِ ,ثُمَّ يبَقْي الأَقْوِياءُ مِنْهُمْ , فَيَقومُ بِتَلْقيحِها أَكْثرَهُمْ قُوَّةً وقُدْرَةً علَى اللِحاقِ بِها , وتَعودُ المَلِكَةُ وَحْدَها ,وتَقِفُ الشَغَّالاتُ علَى مَدْخَلِ الخَلِيَّةِ , ثُمَّ تَقومُ بِقَتْلِ كُلِّ الذُكورِ

العائِدَةِ لأنَّها لمْ تَعُدْ لَها فائِدَةٌ سِوَى أَكْلِ العَسَلِ فَقَطِ , عَلِمَتْ الفَراشَةُ منْ صَديقَتِها الشَغَّالَةُ بِأَنَّ الشَغَّالاتِ سَوْفَ تَقومُ بِالقَضاءِ عَلَيْها هِيَ الأُخْرى لِأَنَّها لا فائِدَةَ لها داخِلَ الخَلِيَّةِ سِوَى أَكْلِ العَسَلِ مِثْلَ الذُكورِ ، وَطَلَبَتْ مِنْها أنْ تَهْرَبَ بِسُرْعَةٍ قَبْلَ أنْ يَقْضوا عَلَيْها .

ونَجَتْ الفَراشَةُ منْ المَوْتِ بِأُعْجوبَةٍ قَبْلَ أنْ تَلْحِقْ بها الشَغَّالاتُ .

ظَلَّتْ تَطيرُ وتَطيرُ وهِيَ حَيْرانَةً وحَزينَةً مِمَّا حَدَثَ لَها حَتَّى تَعِبَتْ واسْتَراحَتْ على غُصْنٍ جَميلٍ .

وَبْعدَ أنْ الْتَقَطَتْ أَنْفاسَها , قالَتْ : لمْ يَعُدْ لي مَكانٌ إلاَّ معَ أَبْناءِ قَبيلَتي التي نَشَأْتُ بَيْنَهُمْ , وهِيَ قَبيلَةُ الفَراشاتِ ، وبَيْنَما هِيَ تُفَكِّرُ في ذَلكَ , إذْ وَجَدَتْ فَراشَةَ وَرَقَةِ القُطْنِ , فَنَسِيَتْ ما فَكَّرَتْ فيهِ وأَعْجَبَتْها الحَياةُ الجَديدَةُ معَ فَراشَةِ وَرَقَةِ القُطْنِ , فَحَكَتْ لِلْفَراشَةِ قِصَّتَها ، رَحَّبَتْ بها فَراشةُ القُطْنِ ، وقالَتْ : سَأكونُ سَعيدَةً جِدّاً بِكِ أَنْتِ لَطيفَةٌ وصَديقَةٌ مُؤْنِسَةٌ لي .,

وعاشَتْ مَعَها الفَراشَةُ وهِيَ سَعيدَةٌ بِها ، فَهُناكَ تَشابُهٌ بيْنَهُما في أَشْياءَ كَثيرَةٍ ، ولَكِنَّ الفَراشَةَ وَجَدَتْ أنَّ فَراشَةَ القُطْنِ تَضَعُ بَيْضَها أَسْفَلَ وَرَقَةِ القُطْنِ الذي يَفْقِسُ عنْ المِئاتِ منْ البَيْضِ الذي يُخْرِجُ دُودَةَ القُطْنِ التي تُؤْذي مَحْصولَ القُطْنِ وَيَضُرُّ الإِنْسانَ .

سَأَلَتْها الفَراشَةُ لِماذا تَفْعَلي ذَلكَ ؟ أَلا تَضَعي بَيْضَكِ في مَكانٍ أَخَرَ فَتَخْرُجُ اليَرَقاتُ التي تَتَغَذَّى علَى ورَقِ نَباتٍ آخَرَ , بَدَلاً منْ أنْ تُفْسِدي مَحْصولاً مُهِمّاً مِثْلَ مَحْصولِ القُطْنِ الذي يَحْصُلُ مِنْهُ الإِنْسانُ علَى القُطْنِ الجَميلِ الذي يَصْنَعُ مِنْهُ المَلابِسَ الراقِيَةَ التي تَحْميهِ منْ حرِّ الصَيْفِ وبَرْدِ الشِتاءِ ؟

قالَتْ الفَراشَةُ : وما لَكَ أَنْتَ ومالَنا ؟ إنَّ هَذهِ حَياتُنا , ونَحْنُ سُعَداءُ بِها أَرْجوكِ لا تُكَدِّري عَلَيْنا حَياتَنا , إمَّا أنْ تَعيشي مَعَنا راضِيَةً بِحَياتِنا أوْ تُفارِقينا .

شَعَرَتْ الفَراشَةُ بالخِزْي مِنْ هَذا العَمَلِ المُضِرِّ ، وقالَتْ: أَنا لَسْتُ كَذَلِكَ ، أَنا لا أُحِبُّ أَنْ أَكونَ مَصْدَرِ فَسَادٍ أَبداً ، ولا أُحِبُّ أَنْ أُشارِكَ منْ يَضُرُّونَ الآخَرينَ ، ثمَّ تَرَكَتْ الفَرَاشَةُ الجَميلةُ فَراشَةَ القُطْنِ , وهِيَ تَقولُ لَها: وَداعاً يا صَديقَتي ، لن نتفق أَبَداً .

حَزِنَتْ فَراشَةُ القُطْنِ عَلى وَداعِها , ولَكِنَّها قالَتْ لَها: أَنْتَ وشَأْنَكِ .

طارَتْ الفرَاشَةُ بَعيداً وهيَ في حيرَةٍ منْ أَمْرِها وهِيَ تُفَكِّرُ كَثيراً , وقالَتْ: لَقدْ أَخْطَأْتُ كَثيراً فيما قُمْتُ بهِ منْ مُغامَراتٍ ، ولَكِنِّي الآنَ تَأَكَّدْتُ أَنَّني لا بُدَّ أنْ أَعيشَ بينَ جَماعَتِي الأَصْلِيَّةِ وبَيْنَ إِخْوَتي منْ الفَراشاتِ التي تُحِبُّني وأُحِبُّها , وتَشْتَرِكْ مَعي في كُلِّ شَيْءٍ .

وظَلَّتْ الفَراشَةُ تَطيرُ وهِيَ حَزينَةٌ عَلى مُغادَرَتِها لِمَجْموعَتِها , وقَالَتْ: إِنَّها تَجْرُبَةٍ اسْتَفَدْتُ مِنْها كَثيراً ، ويَجِبُ أنْ أَتَعَّلمَ أَكْثَرَ ، وأنْ أَتَمَسَّكَ بِجَماعَتي أَكْثَرَ ويكونَ لي دَوْرٌ فيها ، فَلَنْ أَسْتَطيعَ الحَياةَ بِدونِها .

ظَلَّتْ الفَراشَةُ تَبْحَثُ عن قبيلتها الأَصْلِيَّةِ حَتَّى تَعِبَتْ، ولَكِنَّها لمْ تَيْأَسْ منْ البَحْثِ ، وقالَتْ: كَما كُنْتَ أَتْعَبُ قبْلَ ذَلكَ للْبَحْثِ عنْ مَكانٍ جَديدٍ , يَجِبْ أنْ أَتْعَبَ أَيْضاً في البَحْثِ عنْ قَبيلَتي الأَصْلِيَّةِ ،

ومعَ ذَلكَ لمْ تَجِدْها , ولمْ تَجِدْ لَها أَيَّ أَثَرٍ .

وذاتَ يَوْمٍ وَجَدَتْ الفَراشةُ مَكَاناً جَميلاً بهِ أَغْصانٌ جَميلَةٌ وفَراشاتٌ جُميلَةٌ، أَغْراها المَنْظَرُ الجَذَّابُ ، ولَكِنَّها قالَتْ : أَلَمْ أَتَعَلَّمُ ممَّا حَدَثَ .

لَقَدْ جَرَّبْتُ العَيْشَ مَعَ الجَميعِ ولَكِنَّني لمْ أَسْتَطِعْ .

ثمَّ قالَتْ: إنَّ هَذهِ القَبيلَةِ منْ نَفْسِ عائِلَةِ قَبيلَتي ، فَهِي أَقْرَبُ لي وأَنا أَقْرَبُ لَها ,

ثمَّ قالَتْ : لنْ أَخْسَرَ شَيئاً ، سَأُجَرِّبُ حَظِّي هَذهِ المَرَّةِ.

وأَثْناءَ دُخولِها إلَي هَذا المَكانِ الجَذَّابِ ، الْتَقَتْ بِبَعْضِ الفَراشاتِ الجَذَّابَةِ ووَجَدَتْ أَنَّ الفَراشاتِ قَدْ فَرِحَتْ بِوُجودِها , وقامَتْ بالتَرْحيبِ بِها , وكأنهم يعرفونها .

فَقالَتْ: مَنْ أَنْتُنَّ أَيَّتُها الفَراشاتُ الجَميلاتُ ؟ .

فَقُلْنَ : نَحْنُ أَخَواتُكِ , أَيْنَ ذَهَبْتِ ؟ لَقَدْ بَحَثْنا عَنْكِ طَويلاً ولَمْ نَجِدْكِ .

تَعَجَّبَتْ كَثيراً وقَالَتْ : لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ وأَنْتُمْ عَلى غَيْرِ هَذا الشَكْلِ الجَميلِ، قالوا : إِنَّنا كَبُرْنا يا عَزيزَتي ، وهَذِه صِفاتٌ وِراثِيَّةٌ في قَبيلَتِنا ، وقَدْ ازْدَدْنا قُوَّةً ونَشَاطاً.

تَعَجَّبَتْ الفَراشَةُ مِمَّا حَدَثَ، ولامَتْ نَفْسَها لأَنَّها تَرَكَتْ قَبيلَتَها وأَخَواتِها، وقالَتْ : إنَّهُ دَرْسٌ يَجِبُ ألاَّ أَنْساهُ أَبَداً .